# أبو نعيم الأصبهاني

## وكتاب « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء »

عبد الكريم زهور عدي

### القسم الثاني

**كتاب الحلية**

كتاب « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » هو أعظم كتب أبي نعيم به كان يعرف فيقولون : « أبو نعيم الأصبهاني صاحب كتاب الحلية » ، وأطولها فهو في نسخته المطبوعة يقع في عشرة مجلدات بنحو أربعة آلاف صفحة .

إنه حصيلة عمر طويل صرف كله في علم الحديث . يقول في آخره : « هذا آخر ماأمليته يوم الجمعة سلخ ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة » ـ بعد ثمانية وسبعين عاماً من الطلب الحثيث للحديث والآثار : يسمعها ويقيدها ثم يرويها وتُقرأ عليه ويمليها ، وقد بلغ من العمر ستاً وثمانين سنة ولم يبق له على الأرض من أيام إلا ثماني سنوات ونحو شهر ونصف الشهر .

روى فيه عن أربعمائة وتسعين شيخاً : منهم مائة واثنان وعشرون روى عنهم حديثاً واحداً أو قولاً واحداً ، وروى عن زهاء خمسين أكثر من خمسين أثراً ، وعن سبعة وعشرين من هؤلاء أكثر من مائة ، وعن تسعة من هؤلاء أكثر من خمسمائة ، وروى عن أحمد بن جعفر بن حمدان



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

أبي بكر بن مالك ألفاً وخمسمائة أثر ، وعن سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني ألفاً وستمائة وتسعة وعشرين وعن أبي الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر أبي محمد بن حيان ألفاً وثمانمائة وأربعة وعشرين - روى عن هؤلاء الشيوخ خمسة عشر ألفاً ومائة وتسعة وثمانين حديثاً أو قولاً مأثوراً ، فإذا افترضنا أن عشر هذا العدد مكرر فيكون قد روى نحو ثلاثة عشر ألفاً وستمائة وسبعين كلها مع أسانيدها ( ارجع إلى الملحق ٢ ) . فكتاب الحلية ربما كان أوسع كتاب في التراث الإسلامي جمع أخبار الزهاد وأقوالهم وشيئاً من أخبار الصوفية وأقوالهم .

وقد ظهر كتاب الحلية في ميقاته . فعدا عن الأسباب الشخصية المتوفرة في أبي نعيم من حيث هو مشارك في علم الحديث وفي سلوك طريق الزهد والتصوف ، فقد اجتمعت كل الأسباب الموضوعية المهيئة لظهور كتاب مثل الحلية :

ففي علم الحديث كان عصر المحدثين العظام الذين أصلوا أصوله ومحصوا رجاله - ابتداء من طبقة التابعين إلى السفيانين والحمادين وشعبة وابن مهدي إلى ابن معين وابن حنبل وابن راهويه وطبقتهم إلى أصحاب الصحاح الستة والدارمي وأبي زرعة وأبي حاتم وابنه وابن المديني وابن حبان والحاكم .. - يجر آخر أيامه ، وقد حضرها أبو نعيم .

وفي الزهد كان الزهاد الذين بالغوا في الجانب الزهدي من الإسلام - من الصحابة أمثال عثمان بن مظعون وأبي ذر وأبي الدرداء إلى الزهاد الثانية من التابعين إلى ... إلى الذين وقفوا على الأعراف بين الزهد والتصوف أمثال إبراهيم بن أدهم العجلي وداود بن نصير الطائي والفضيل بن عياض التميمي - قد سنوا طرائقه وأعطوه صفاته الإسلامية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والتصوف أيضاً كان بناؤه على وشك الاكتمال على أيدي الجنيد وصوفية بغداد وسهل التستري السالمي وحمدون القصار الملامتي والحلاج وماأدخل على التصوف من اتجاهات مغرقة ، بل حتى في الاتجاهات التي انحرفت به عن جادة الإسلام من حلولية وإباحية ـ أقول : إن التصوف كان قد كمل بناؤه غير بعض الإضافات الفلسفية والمغالية والمنحرفة .

والأهم من ذلك ماظهر من كتب في علم التصوف وتاريخه : فقد ظهرت الكتب الثلاثة : لمع أبي نصر السراج وتعرف أبي بكر الكلاباذي وقوت أبي طالب المكي ، التي لم يظهر بعدها كتب خير منها إن في الشمول أو الدقة أو التعمق . وماظهر من كتب في أخبار الزهاد وطبقات الصوفية وبخاصة منها كتب أبي جعفر الخلدي وأبي سعيد بن الأعرابي وأبي عبد الرحمن السلمي . وهذه جريدة بأسماء بعض الكتب الداخلة في هذا المجال[٤٦] :

| | |
|---|---|
| يحيى بن معاذ الرازي ( ـ ٢٠٦ ) | مراد ( أو كتاب ) المريدين |
| بشر بن الحارث الحافي ( ـ ٢٢٧ ) | كتاب الزهد |
| عتبة الغلام | رسالة في الزهد |
| أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الختلي ( ـ ٢٦٠ ) | كتاب الأولياء |
| | كتاب الزهد |
| محمد بن علي الحكيم الترمذي ( ـ ٣٢٠ ) | تاريخ المشايخ |
| أبو سعيد أحمد بن الأعرابي ( ـ ٣٤١ ) | كتاب الزهد |
| | طبقات النساك |
| أبو محمد جعفر بن محمد الخلدي ( ـ ٣٤٨ ) | حكايات المشايخ |
| أبو العباس محمد بن الخشاب المحرِّمي ( ـ ٣٦١ ) | حكايات |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

| | |
|---|---|
| أبو الفرج عبد الواحد بن بكر الوَرْثاني ( ـ ٣٧٢ ) | طبقات الصوفية |
| أبو بكر محمد بن عبد الله بن شاذان الرازي ( ـ ٣٧٦ ) | الحكايات الصوفية |
| أبو العباس أحمد النسوي ( ـ ٣٩٦ ) | طبقات الصوفية |
| أبو عبد الرحمن السلمي ( ـ ٤١٢ ) | كتاب الزهد |
| | تاريخ أهل الصفة |
| | تاريخ الصوفية ( ؟ ) |
| | طبقات الصوفية |
| | وكل كتبه |
| أبو سعد أحمد بن محمد الأنصاري الماليني ( ـ ٤١٢ ) | كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية |
| أبو الحسن علي بن جهضم ( ـ ٤١٤ ) | أخبار الصالحين وحكاياتهم |

ذلك إلى كتب كبار المحدثين الذين عنوا بالرقائق أمثال عبد الله بن المبارك ( ـ ١٨١ ) ... وأولئك الذين عنوا خاصة بالزهد والزهاد والمواعظ أمثال محمد بن الحسين البرجلاني ( ـ ٢٣٨ ) وعبيد الله بن محمد ( ابن أبي الدنيا ) ( ـ ٢٨١ ) ... وكتب كبار المتصوفة أمثال المحاسبي والتستري والجنيد والحكيم الترمذي ...

**تعريف عام بالحلية**

ترجم أبو نعيم في الحلية لستمائة وأربعة وثمانين رجلاً ( ارجع إلى الملحق ١ ) . ولكنه لم يتبع في ترتيب التراجم قاعدة واحدة ثابتة تكون دليلاً يهدي المراجع إلى طلبته . فلم يرتب التراجم في طبقات ( كما فعل من قبله مثلاً أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية ) ، ولم يتخذ النسبة الجغرافية قاعدة للتصنيف ( كما فعل من بعده مثلاً ابن الجوزي في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صفة الصفوة ) ، ولم يوزع الرجال على أصناف يجمع كل صنف منها صفة مشتركة تكون عنواناً له ، ولم يعتمد طريقه الترتيب على حروف المعجم . ولذلك تصعب المراجعة في الحلية .

ولكن يمكن القول بعامة : إن التراجم تتبع التسلسل التاريخي بمعنى : أنه مثلاً لايضع محمد بن واسع بين متصوفة بغداد ، ولايدخل النوري بين زهاد التابعين ، ولكنه قد يؤخر المتقدم ويشير إلى ذلك أو لايشير ويقدم المتأخر . وقد يتبع أحياناً طريقة التصنيف إما على أساس الصفة المشتركة : « أهل الصفة » ، « الزهاد الثانية » .. وإما على أساس البلد « زهاد البصرة » ، « زهاد الشام » .. ولكن ليس باطراد ولابدقة .

ولذلك كان التعريف بالحلية صعباً ، لأن التعريف لايكون بالأفراد ولابالجزئيات بل بالكليات والأجناس والأنواع . وعلى الرغم من ذلك فسأحاول هذا التعريف معتمداً على المعالم والإشارات التي أقامها أبو نعيم عن قصد أو جاءت عرضاً :

**المقدمة** ( ١ / ٣ ـ ٢٨ من مطبوعة الحلية )

قدم أبو نعيم للحلية بمقدمة تتجاوز خمساً وعشرين صفحة من مطبوعتها ، عرض فيها لموضوعات شتى تدور جميعاً على فهمه للتصوف وموقفه من المتصوفة :

بدأ فبين أن مادفعه إلى تأليف الحلية هو تحقيق بغية من ابتغى منه « جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم وبعدهم » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

والسبب وراء هذا المطلب من الطالب مابلغه « من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار .. في المنتسبين إليهم ( إلى المتصوفة ) من الفسقة الفجار والمباحية والحلولية الكفار . وليس ماحل بالكذبة من الوقيعة والإنكار بقادح في منقبة الصفوة الأبرار » . وكيف يستجيز أبو نعيم لنفسه نقيصة أولياء الله ، وجده محمد بن يوسف البنا « أحد من نشر الله عز وجل به ذكر بعض المنقطعين إليه » ، ورسول الله ﷺ يقول عن ربه : « من آذى لي ولياً فقد آذنته بحرب .. » ؟

ثم ينتقل إلى ذكر بعض مناقب أولياء الله التي بها يعرفون ويغبطون ، فيذكر اثنتي عشرة منقبة يصوغها بعبارات مسجوعة من مثل : « إنهم المضرورون في الأطعمة واللباس المبرورة أقسامهم عند النازلة والباس » ، « وهم المصونون عن مرامقة حقارة الدنيا بعين الاغترار المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار » الخ ... وعلينا أن لانتوقع أن نقع ههنا على نعوت واضحة الحدود متميزة مما سواها ، فالمفهومات والتصورات الأخلاقية والروحية بعامة تكون مرتجة الحدود يلتبس بعضها ببعض ، فإذا دخلنا في عالم التصوف دخلنا في السحر حين لاتغيب الأشياء تماماً ولاتنكشف .

ويمضي بعدها إلى لفظة « تصوف » ومن أين اشتقت : « فأما عند أهل الإشارات فاشتقاقها من الصفاء والوفاء ، وأما من حيث اللغة فمن أحد أربعة أشياء : الصوفانة وهي بقلة وغباء قصيرة ، أو صوفة وهي قبيلة كانت تجيز الحاج في الجاهلية ، أو صوفة القفا وهي الشعرات النابتة فيه ، أو الصوف المعروف » . ثم يأخذ يفسر أو يؤول كل اشتقاق من هذه الاشتقاقات الأربعة تأويلات غريبة ، وهذا مثل عليها : « وإن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أُخذ من صوفة القفا فمعناه أن المتصوف معطوف به إلى الحق مصروف به عن الخلق ، لايريد به بدلا ولايبغي عنه حولا » .

ثم إلى تعريف التصوف فينقل أكثر من ثمانية تعريفات عمن يسميهم « سادة علماء التصوف » منهم الجنيد وذو النون والشبلي ... وكل قد أجاب عن حاله .

ومن ثمة يحاول تحديد موضوع علم التصوف فيقول : « ويشتمل كلام المتصوفة على ثلاثة أنواع : فأولها إشاراتهم إلى التوحيد ، والثاني كلامهم في المراد ومراتبه ، والثالث في المريد وأحواله » .

والتصوف يقوم على أصلين : المعرفة والمجاهدة : أما المعرفة فتقوم على أركان أربعة « فمباني المتصوفة المتحققة في حقائقهم على أركان أربعة : معرفة الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة النفوس وشرورها ودواعيها ، ومعرفة وساوس العدو ومكائده ومضاله ، ومعرفة الدنيا وغرورها وتفتينها وتلوينها وكيف الاحتراز منها والتجافي عنها » .

فإذا توطدت عندهم هذه الأركان « ألزموا أنفسهم ... دوام المجاهدة وشدة المكابدة وحفظ الأوقات واغتنام الطاعات ومفارقة الراحات والتلذذ بما أيدوا به من المطالعات الخ .. » .

والتجربة الصوفية لها وجهان : وجه باطن هو الأحوال ، ووجه ظاهر هو الأخلاق : « لهم الأحوال الشريفة والأخلاق اللطيفة » : فمن حيث الأخلاق « هم السفراء إلى الخلق » ، ومن حيث الأحوال « هم الأسراء لدى الحق » ، ومن حيث الأحوال والأخلاق « حبهم للحق وفي الحق يحييهم ويفنيهم » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

**الصحابة :**

ثم اتخذ سبيله في التراجم :

فافتتحها ، كدأب علماء المسلمين في مثل هذه الأحوال ، بالعشرة . ( ١ / ٢٨ ـ ١٠٢ ) .

ثم أتبعهم بعشرة آخرين « من النساك والعارفين والعباد الذين انقرضوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكْلمهم الدنيا » ( ١ / ١٠٢ ـ ١٢٤ ) . بدأهم بعثمان بن مظعون الذي بكاه رسول الله وخاطبه : « .. اذهب عنها أبا السائب فقد خرجت منها ولم تلبس منها بشيء » ، وختمهم بذكر قتلى بئر معونة الذين قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً في صلاة الصبح يدعو على الغادرين بهم[٤٧] .

ثم ترجم لستة وعشرين لم يخترهم لأنهم عرفوا بالقيادة السياسية أو العسكرية بل لما عرفوا به من النسك والعبادة « الذين جعلوا للعارفين والعاملين قدوة وعلى المفتونين بالدنيا والمقبلين عليها حجة » ( ١ / ١٢٤ ـ ٣٣٧ ) . بدأهم بعبد الله بن مسعود وختمهم بالعبادلة الأربعة . منهم من تتداول أسماءهم ألسنة المسلمين مثل : معاذ بن جبل وعمار بن ياسر وأبي ذر وبلال وأبي الدرداء وسلمان وأبي موسى الخ ... ومنهم من لايكادون يذكرون مثل سعيد بن عامر وعمير بن سعد .. ولابأس من إيراد شيء من حديث عمير بن سعد لبيان ماكان يطّبي أبا نعيم فيقف عنده :

بعث عمر بن الخطاب عميراً عاملاً على حمص . فمكث حولاً لايأتيه خبره . فظن عمر به الخيانة . فأمر كاتبه أن يكتب إليه : « إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل بما جبيت من فيء المسلمين . فأخذ عمير جرابه فجعل فيه زاده وقصعته وعلق إداوته وأخذ عنزته ( عصاه ) ثم أقبل يمشي من حمص حتى دخل المدينة » . ودخل في هيأته هذه على عمر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبعد حديث .. قال عمر : « فأين بعثتك ، وأي شيء صنعت ؟ قال : وماسؤالك ياأمير المؤمنين ؟ فقال عمر : سبحان الله . فقال عمير : أما لولا أني أخشى أن أغمك ماأخبرتك . بعثتني حتى أتيت البلد ، فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيئهم ، حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه ، ولو نالك منه شيء لأتيتك به » .. قال عمر : « جددوا لعمير عهداً . قال : إن ذلك لشيء . لاعملت لك ولا لأحد بعدك ، والله ماسلمت بل لم أسلم ، لقد قلت لنصراني ، أي : أخزاك الله » .. ثم استأذنه فأذن له فرجع إلى منزله على بعد أميال من المدينة . وقال عمر : ماأراه إلا قد خاننا . فأعطى رجلاً اسمه الحارث مائة دينار وقال له : انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف ، فإن رأيت أثر شيء فأقبل ، وإن رأيت حالة شديدة فادفع إليه هذه المائة دينار . ونزل الحارث بعمير ثلاثة أيام « وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يخصونه بها ويطوون ، حتى أتاهم الجهد . فقال له عمير : إنك قد أجعتنا فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل . فأخرج الدنانير فدفعها إليه وقال : بعث بها إليك أمير المؤمنين فاستعن بها . فقال : لاحاجة لي فيها ردها . فقالت له امرأته : إن احتجت إليها وإلا فضعها مواضعها ... فأخذها وخرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء » . ورجع الحارث إلى عمر ، فقال : مارأيت ؟ قال : رأيت حالاً شديداً . قال : فما صنع بالدنانير . قال : لاأدري . « فكتب إليه عمر : إذا جاءك كتابي هذا فلاتضعه من يدك حتى تقبل . فأقبل . فقال له عمر : ماصنعت بالدنانير ؟ قال : صنعت ماصنعت وماسؤالك عنها ؟ قال : أنشد عليك لتخبرني ماصنعت بها . قال : قدمتها لنفسي . قال : رحمك الله » . فلم يلبث عمير أن هلك ، فبلغ ذلك عمر فشق عليه ، فخرج يمشي ومعه المشاؤون إلى بقيع الغرقد ... وقال عمر : « وددت أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

لي رجلاً مثل عمير بن سعد أستعين به في أعمال المسلمين » .

ثم وقف وقفة مطوّلة عند أهل الصفة ( ١ / ٣٣٧ ـ ٣٨٥ و ٢ / ٣ ـ ٣٩ ) ، ابتدأها بمقدمة وصف فيها حالهم وصفاً عاماً . ولأهل الصفة عند أهل التصوف مقام خاص واعتبار خاص ، حتى إن بعضهم يرى أن اسم طريقهم « تصوف » منسوب ، على خلاف قواعد اللغة ، إلى الصفة . أو ليسوا هم الفقراء الصابرين ؟ أو كما قال أبو نعيم : « هم قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض ، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض ، وجعلهم قدوة للمتجردين من الفقراء ، كما جعل من تقدم ذكرهم أسوة للعارفين من الحكماء ، لايأوون إلى أهل ولامال ، ولايلهيهم عن ذكر الله تجارة ولاحال .. » ؟ ألم ينزل بهم قرآن : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ [٤٨] ؟ .

ولما عرض لذكر عددهم لم يقع في الأعداد المباركة ذات الصفة القدسية كما وقع غيره : فقالوا مرة : إن عددهم هو عدد البدريين ، وقالوا : إنه عدد السنين التي لبثها أهل الكهف في كهفهم .. بل قال : « وكان عدد قاطني الصفة يختلف على حسب اختلاف الأوقات والأحوال ، فربما تُفُرِّق عنها وانتقص طارقوهامن الغرباء والقادمين فيقل عددهم ، وربما يجتمع فيها واردوها من الوراد والوفود فينضم إليهم فيكثرون .. » .

ومن قبل أبي نعيم عني بأهل الصفة جامعو الآثار والأخبار في الزهد والزهاد وبخاصة منهم أبو سعيد بن الأعرابي وأبو عبد الرحمن السلمي الذي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خصهم بكتاب « تاريخ أهل الصفة »[٤٩] حرص فيه على حصر أسمائهم وترتيبها على حروف المعجم وجمع أخبارهم . وكان جل اعتماد أبي نعيم عليها واعترف بذلك فقال : « قد أتينا على من ذكرهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ونسبهم إلى توطين الصفة ونزولها . وهو أحد من لقيناه وممن له العناية التامة بتوطئة مذهب التصوف وتهذيبه ... وكذلك ضممت إليه ماذكره الأغر الأبلج أبو سعيد بن الأعرابي رحمه الله وكان أحد أعلام رواة الحديث والمتصوفة .. » . فمن خمسة وثمانين من أهل الصفة ترجم لهم ( ذلك عدا من ترجم لهم منهم بين الصحابة الآخرين أمثال أبي ذر وأبي موسى وخباب بن الأرت .. ) نص على تسعة وستين أنهم ذكرهم السلمي وعلى ثمانية زادهم من عند ابن الأعرابي وثمانية أضافهم من عند نفسه . ولكنه أخرج عشرة من عداد أهل الصفة قال : إن السلمي وهم فيهم ، منهم مثلاً : أوس بن أوس ( وقيل : ابن حذيفة ) الثقفي من وفد ثقيف الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب لهم قبة في مسجده أنزلهم فيها[٥٠] فهو من أهل القبة لامن أهل الصفة ، وحبيب بن زيد وهو من أهل العقبة لا الصفة ، وأبو أيوب الأنصاري وفي داره نزل الرسول صلى الله عليه وسلم أول مانزل المدينة فقد كان إذن مستغنياً عن الصفة ونزولها وهو من أهل العقبة ، وثابت بن الضحاك وهو من أهل الشجرة ( بيعة الرضوان ) ليس من أهل الصفة في شيء ، وثابت بن وديعة وقد نزل الكوفة لاالصفة ، وحجاج بن عمرو الأسلمي وقد وهم فيه مرتين إذ أن حجاجاً الأسلمي هو حجاج بن مالك أما حجاج بن عمرو فهو المازني الأنصاري ولايعرف لأي منهما ذكر في أهل الصفة ، وآخرون لايُعلم عن استيطانهم الصفة أثر مسند أو صحيح .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وختم أبو نعيم تراجمه لأهل الصفة ببيان موقعهم بين المسلمين ومكانتهم عند كبار أهل البيت والصحابة ، « كان أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده يوالون أهل الصفة والفقراء : يخالطونهم اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم واستناناً به . فمن كان يكثر مجالستهم ومخالطتهم ومجالسة سائر الفقراء في كل وقت الحسن بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر ، يرون في محبتهم إكمال الدين وفي مجالستهم إتمام الشرف .. وكذلك عامة الصحابة كانوا يغتنون مخالطة الأخيار وأدعية الأبرار .. » .

وكأنه وجد هذه مناسبة فترجم للحسن بن علي رضي الله عنهما . ولكن العجب منه أنه لم يترجم للحسين ، ذكر : أنه كان من ولاة الفقراء وأهل الصفة ، وكليات قالها « لما نزل القوم بالحسين وأيقن أنهم قاتلوه » ، ووقف . ويؤكد العجب أنه ترجم فيما بعد لأخيه محمد بن الحنفية وأولاده زين العابدين والباقر والصادق . فهل افتقد فيما كتب في عمره المديد من آثار وأخبار آثاراً وأخباراً تكفي لترجمة الحسين ترجمة توازي ترجمته للحسن ؟

وانتهى أخيراً إلى الصحابيات ، ( ٢ / ٣٩ ـ ٧٧ ) وابتدأهن بفاطمة رضي الله عنها « السيدة البتول البضعة الشبيهة بالرسول ألوط أولاده بقلبه لصوقا وأولهم بعد وفاته به لحوقا ... » . وثنى بعائشة رضي الله عنها « الصديقة بنت الصديق العتيقة بنت العتيق حبيبة الحبيب وأليفة القريب ... » . ثم حفصة بنت عمر وزينب بنت جحش وصفية بنت حيي رضي الله عنهن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أسماء بنت الصديق ذات النطاقين رضي الله عنها الخ .. إلى أن أتمهن إلى تسع وعشرين . وهنا عجب آخر من أبي نعيم : ما المعيار الذي اعتمده في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اختيار هاته الأربع من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وكيف أهمل مثلاً أم سلمة وكانت أول امرأة هاجرت إلى الحبشة ، وأول ظعينة ، على قولٍ ، دخلت المدينة ، « وكانت موصوفة بالجمال البارع والعقل البالغ والرأي الصائب »[٥١] ، أشارت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية فأصبت الرأي[٥٢] ، وفي بيتها ، كما روى عنها الترمذي[٥٣] ، نزلت الآية ﴿ يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ وجلل رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمسة بالكساء ؟[٥٤]

وبذلك يكون أبو نعيم قد ترجم لمائة وواحد وستين صحابياً وزعهم على خمس فئات . وهو تصنيف مقبول ويمكن أن يهدي المراجع ولو هداية تقريبية ، لولا أنه لم يبرزه منذ البداية فلا يكتشفه بالتالي إلا من يكون قد قرأ الحلية واستغنى عنه .

وهنا يمكن أن أبدي ملاحظتين :

الأولى أن أبا نعيم لم يترجم بعد الصحابيات لأية امرأة ، وإن منهن لزاهدات عابدات مثل معاذة العدوية ورابعة العدوية ورائعة الشامية وغيرهن .

والثانية أن تراجمه للصحابة لم تكن مطولة ، فأطولها وهي ترجمة علي كرم الله وجهه تقع في ست وعشرين صفحة ، ثم ترجمة سلمان في ثلاث وعشرين وعبد الله بن عمر في ثنتين وعشرين ، وإن بعضها لايتجاوز الأسطر القليلة . ويمكن تعليل ذلك بأن روح الإسلام ـ وهو دين اليقظة والمواجهة والتمتع بالحياة في حدود الأمانة التي حملها الله للإنسان والرعاية لحقوقه وحقوق البشر الآخرين ـ كانت ماتزال تسري في الصحابة كما بثها فيهم رسول الله ، فلا تفريط كبيراً وبالتالي فلا إفراط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولاضرورة لتطويل المواعظ والأحاديث عن الزهد والعزوف عن الدنيا ( أقول هذا مع عدم الغفلة عن الفتنة الكبرى وآثارها ) .

**التابعون وتابعوهم :**

ثم اتبع الصحابة التابعين مقدّماً لهم « في فضل خير القرون أخباراً وآثاراً » :

« حدثنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس أبو داود ثنا شعبة عن منصور والأعمش عن إبراهيم عن عبيدة السلماني عن عبد الله بن مسعود : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » .

ويفسره الحديث : « حدثنا حبيب بن الحسن ثنا أبو مسلم الكشي ثنا أبو عاصم عن محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة قال : سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خير الناس ؟ قال : أنا ومن معي ، قيل : ثم من ؟ قال : الذين على الأثر ، قيل : ثم من ؟ قال : ثم الذين على الأثر . قال : فرفضهم في الرابعة » .

**الزهاد الثمانية ( ٢ / ٧٩ ـ ١٦١ )**

وابتدأ تراجمهم بالثمانية الذين انتهى الزهد إليهم وهم : من البصريين : عامر بن عبد الله بن عبد قيس التميمي ، هرم بن حيان العبدي ، الحسن بن يسار البصري ـ ومن الكوفيين : أويس بن عامر القرني ، مسروق بن الأجدع الهمداني ، الأسود بن يزيد النخعي ، الربيع بن خثيم الثوري ـ ومن الشاميين : أبو مسلم الخولاني .

وكانت فاتحة التراجم ترجمة أويس القرني ، تلك الشخصية ذات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الطابع الأسطوري الغامضة بداياتها ونهايتها التي يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفها « .. رام بذقنه إلى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكي على نفسه ، ذو طمرين متزر بإزار صوف ورداء صوف ، مجهول في أهل الأرض معروف في السماء ، لو أقسم على الله لأبر قسمه .. » ووصى عمر وعلياً « إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما يغفر الله تعالى لكما » .

وخاتمتها ترجمة الحسن البصري ذلك الشخص الذي يشغل موقعاً خاصاً وأساسياً في تاريخ الحياة الروحية في الإسلام : فقد لايكون وحسب أخد الذين رسموا للزهد الإسلامي حدوده وحددوا ملامحه بل الأول بينهم والأكبر ، وإليه ، كما يقول المعتزلة ، ينتهي نسب الاتجاه الاعتزالي في علم الكلام ، وهو العقدة التي ربطت التصوف الإسلامي بعلي ثم بالرسول ، كما يدعي المتصوفة .

وقد أدخل بين تراجمهم ترجمة لعلقمة بن قيس النخعي ، ولم يبعد : فقد نُعت علقمة مرة بأنه من الديانين وأخرى بأنه رباني هذه الأمة .

وكانت تراجمهم جميعاً أقرب إلى الإيجاز لاتكاد تتجاوز العشر صفحات ماعدا ترجمة الحسن فقد بلغت الثلاثين .

**الفقهاء السبعة ( ٢ / ١٦١ ـ ١٩٨ )**

وقفّى الزهادَ الثمانية بالفقهاء السبعة وهم : سعيد بن المسيب المخزومي وعروة بن الزبير الأسدي والقاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي وسليمان بن يسار .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأضاف إلى تراجمهم ترجمة سالم بن عبد الله بن عمر العدوي ولم يخطئ ، فسالم على قول بعضهم كان أحد الفقهاء السبعة . « قال ابن المبارك : كان فقهاء أهل المدينة الذين كانوا يصدرون عن رأيهم سبعة : .. وسالم .. »[٥٥] . وهؤلاء جميعاً مدينيون « غلب عليهم التفقه في الدين فعرفوا به وصدر الناس عن فتاويهم فيما كانوا يمتحنون به ، وكان لهم الحظ الوافر من التعبد والنسك ولم يظهروه بل أخفوه وكتموه .. كان نسكهم وتعبدهم فوق نسك كثير من المشتهرين بالتعبد .. » .

وكانت تراجمهم أكثر إيجازاً من تراجم الزهاد الثانية .

**زهاد البصرة ( ٢ / ١٩٨ ـ ٣٨٩ و ٣ / ٣ ـ ١٣٣ )**

ثم انتقل من سالم بن عبد الله إلى مطرِّف بن عبد الله بن الشخِّير دون أية إشارة إلى أنه انتقل من فقهاء المدينة إلى زهاد البصرة . فترجم لستة وخمسين من هؤلاء كان آخرهم شميط بن عجلان . منهم : صلة بن أشيم العدوي وأبو العالية الرياحي ومحمد بن سيرين وثابت البناني وإياس بن معاوية المزني ومحمد بن واسع ومالك بن دينار وقتادة بن دعامة السدوسي وفرقد السبخي وأيوب السختياني وسليمان التيمي الخ ... ولم يتبع في ترتيب تراجمهم أيةقاعدة . فلما هذب ابن الجوزي الحلية رتب هذه التراجم في طبقات . ومقابلة سريعة بين فهرس هذه التراجم في الحلية وفهرسها في صفة الصفوة تكشف عن الفوضى في ترتيبها عند أبي نعيم . فمثلاً : افتتح أبو نعيم هذه التراجم بمطرف وقدمه على صلة بن أشيم على حين يضع ابن الجوزي صلة في الطبقة الأولى من زهاد البصرة ومطرفاً في الطبقة الثانية ، وأخر الفضيل بن يزيد الرقاشي كثيراً ويضعه ابن الجوزي في الطبقة الأولى ، وأخر إياساً حتى ليجعله قبل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأخير وقدم عليه قتادة ويجعله ابن الجوزي مع قتادة في الطبقة الثالثة الخ ... .

**زهاد المدينة ( ٣ / ١٣٣ ـ ٢٦٦ )**

ثم عاد إلى تابعي المدينة فترجم لثلاثة عشر ، افتتحهم بعلي بن الحسين زين العابدين ، واختتمهم بربيعة الرأى بن أبي عبد الرحمن ، وترجم بينهما لمحمد بن علي ( ابن الحنفية ) ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق وعلي بن عبد الله بن عباس وأبي حازم سلمة بن دينار ( وكانت ترجمته الأطول : ثلاثين صفحة ) وآخرين .

**زهاد مكة ( ٣ / ٢٦٦ ـ ٣٨١ )**

وأتبعهم بتابعي مكة فترجم لسبعة بدأهم بعبيد بن عمير الليثي وختمهم بمحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ( عدّه ابن الجوزي من تابعي المدينة )[٥٦] وترجم لمجاهد بن جبر ( في إحدى وثلاثين صفحة ) وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس ( عند ابن الجوزي من تابعي المدينة )[٥٧] وعمرو بن دينار وعبد الله بن عبيد بن عمير .

**زهاد اليمن ( ٤ / ٣ ـ ٨٢ )**

ثم ترجم لاثنين من تابعي اليمن : طاوس بن كيسان ووهب بن منبه وبه يظهر تدفق المنقول من تراث أهل الكتاب عامة و « الإسرائيليات » خاصة إلى التراث الإسلامي ، ويبدأ التطويل في التراجم فقد أخذت ترجمته ثمانياً وخمسين صفحة .

**زهاد الجزيرة ( ٤ / ٨٢ ـ ١٠١ )**

وترجم لاثنين من تابعي الجزيرة : ميمون بن مهران ويزيد بن الأصم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

**زهاد الكوفة ( ٤ / ١٠١ ـ ٣٨٦ و ٥ / ٣ ـ ١٢٠ )**

ثم قال : « ذكرنا نفراً من متقدمي طبقة الكوفيين في ذكر زهاد اليمانية ( ههنا تصحيف والصحيح : الزهاد الثمانية ) وعبادهم ، وعدنا إلى ذكر جماعة من عباد الكوفيين ونساكهم » . وترجم لاثنين وأربعين منهم ، بدأهم بشقيق بن سلمة وختمهم بالربيع بن أبي راشد .

واختص أصحاب عبد الله بن مسعود بالعناية : ففي أثناء التراجم قال : « قد ذكرنا عدة من أصحاب عبد الله بن مسعود رحمهم الله تعالى وبقي منهم عدة لم نذكرهم ، منهم : ... » . ومن بين من ترجم لهم من زهاد الكوفة جماعة كان لهم مقام في التاريخ والتراث الإسلاميين ، مثل : شريح بن الحارث الكندي القاضي وإبراهيم بن يزيد النخعي وسعيد بن جبير ( شغلت ترجمته ثمانياً وثلاثين صفحة ) ، الذي أدخل على قلب الحجاج الرجفة وهدّه هدّاً حين ناقشه هذا الحساب على مشاركته في فتنة ابن الأشعث[٥٨] ، وعامر بن شراحيل الشعبي وأبي صالح ماهان الحنفي ومنصور بن المعتمر وسليمان بن مهران الأعمش ... ثم أتبعهم « ذكر جماعة من تابعي التابعين من أهل الكوفة والمعدودين فيهم » ، فترجم لثمانية منهم .

**زهاد الشام ( ٥ / ١٢٠ ـ ٣٩١ و ٦ / ٣ ـ ١٤٨ )**

ثم مضى إلى زهاد الشام وعبادهم فترجم لثلاثة وخمسين منهم ، بدأهم بأبي مسلم الخولاني فترجم له مرة ثانية ( بعد ترجمته بين الزهاد الثمانية ) وختمهم بأبي عمرو الأوزاعي . وإذا كان قد ميز في زهاد الكوفة بين التابعين وتابعيهم ، فقد خلط بين الفريقين في زهاد الشام ، حتى ليقع المراجع في الحيرة ولاسيما حين يذكر أبو نعيم عن صاحب الترجمة أنه روى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عن التابعين ولاينبس بكلمة على روايته عن الصحابة ، كما فعل مثلاً بسليمان بن موسى الأشدق إذ قال : « أسند عن الزهري وعن غيره من التابعين .. » ولم يزد ، وسليمان يروي أيضاً « عن جابر بن عبد الله وأبي أمامة ومالك بن يخامر وأبي سيارة المتعي وواثلة بن الأسقع وغالبه مرسل »[٥٩] . ومن بين تراجم الشاميين تثير الانتباه ترجمتان : ترجمة عمر بن عبد العزيز وقد استغرقت مائة وإحدى عشرة صفحة ، وترجمة كعب الأحبار بن ماتع واقتطعت سبعين صفحة ، ولاجرم أن تطول ترجمته فقد كان من أوسع الأبواب التي دخلت منها الإسرائيليات إلى التراث الإسلامي ، وتلقفها الوعاظ والقصاص ...

ثم قال أبو نعيم : « .. إن الذين تقدم ذكرهم من الصحابة والتابعين فإن مثلهم في الناس كمثل المعادن والجواهر الذين لايعرف مقامهم ومراتبهم إلا المستنبطون والغواص ... لأنهم كانوا أعمدة الدين والأساس . وهذه الطبقة التي عزمنا على الشروع في ذكرهم فهم قوم أيدوا بطرف من المعارف وكوشفوا ببعض طرف الملاطف .. فسبيلهم في الناس كالرياحين والآس ، إذا أراد الله تعالى إنعاش بعض المجتذبين .. أهب عليهم نسمة من رياح عطفه فيثير منهم نسيماً مما خصهم به من كراماته .. يهيج بهم الوافدين وينبه بهم الواسنين .. وهم أولياء الله وأصفياؤه .. » .

ومعنى ذلك بالعبارة المباشرة : إن الله جعل من الصحابة والتابعين وبعض تابعيهم أسساً للدين وعمداً فهم في ظاهرهم القدوة للناس أجمعين ، أما ماخصهم به من ولايته فخفي إلا على من أوتي القدرة على النفوذ إلى ماوراء الظاهر . وأما مافوق الأسس والأركان من بنيان روحي ومقامات فقد اختار الله له خصائص تظهر عليهم آثار ولايته من آيات وكرامات فتتنور بها قلوب المجتذبين وتتكشف الطرق أمام السائرين إلى الحق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

**جماعة ثانية من زهاد البصرة( ٦ / ١٤٨ ـ ٣١٤ )**

وعلى ذلك ترجم لواحد وثلاثين كلهم من عباد البصرة ونساكها ، ابتدأهم بحبيب العجمي وأنهاهم بمعاوية بن عبد الكريم ، ومن بينهم عبد الواحد بن زيد وصالح المري ورياح بن عمرو القيسي وكهمس الدعاء وعتبة الغلام والحمادان : ابن سلمة وابن زيد ... وحين نقرأ تراجم هؤلاء ونقارنها بتراجم أولئك لانجد فروقاً ذات بال إلا بوادر من الكلام في المحبة الإلهية ومبالغة في خشية الله والعرض عليه وظهور بعض الكرامات عند بعضهم ، نعثر على أمثال لها ، ربما بإلحاح أقل ، عند بعض أولئك .

وهكذا يكون أبو نعيم قد بدأ تاريخ التصوف بتلاميذ الحسن البصري ، وأظن أن أبا عبد الرحمن السلمي كان أكثر دقة حين بدأه بالطبقة التي بعدها طبقة إبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض .

كان أبو نعيم قد قال في الكلمات التي افتتح بها ترجمات هؤلاء الزهاء من البصريين : « قد تقدم ذكر طبقات من الصحابة والتابعين وتابعيهم على ترتيب أيامهم وبلدانهم .. » . وهذا القول لايمكن قبوله على إطلاقه : ففيما يخص الصحابة فقد صنفهم تبعاً لخصائص وصفات غير الانتماءات البلدية أو القبلية أو التاريخية . وفيما يخص التابعين وتابعيهم فيمكن التسليم بأنه رتبهم تبعاً لبلدانهم وإن داخل هذا الترتيب بعض الاضطراب ، أما ترتيبهم على أيامهم فقد تبين حين عرضنا للمجموعة الأولى من البصريين كيف خلط طبقاتهم بعضها ببعض ، وكذلك فعل في زهاد الكوفة والشام والمجموعة الثانية من زهاد البصرة .

ثم قال : « وعزمنا على ذكر طوائف من جماهير النساك والعباد ..

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قوم أُيدوا بطرف من المعارف ... وهم أخلاط من العباد ، وعدلنا عن ترتيب أيامهم وأبلاد .. » .

وقال في نهاية ترجماته للبصريين : « ذكرنا طرفاً من أحوال أئمة الهدى .. من الصحابة وتابعيهم .. ونذكر الآن من سلك سمتهم ونحا نحوهم ، فبدأنا بأئمة البلدان ومحاسن الزمان كمالك بن أنس وسفيان بن سعيد وشعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وداود الطائي والحسن وعلي ابني صالح وفضيل بن عياض وقرنائهم ليكون الكتاب جامعاً لتسمية الشموس والأقمار والأئمة ذوي الأخطار ، ثم نتبعهم بذكر المقتدين بهم والتابعين لهم من النجوم الزواهر .. » .

فأبو نعيم إذن يميز في رجال الله بين فئتين : فئة ينعتها « بالشموس والأقمار » وأخرى يصفها « بالنجوم الزواهر » . وهنا يلح سؤال : أي الفئتين ياترى هي الأرفع مقاماً عند أبي نعيم ؟

فالمتصوفة يختلفون في هذه المسألة . وإن منهم لفريقاً يرون أن الولاية أرفع درجة حتى من النبوة ، وأن العلم اللدني أو علم الحقيقة أعلى من علم الشريعة . ويستندون في زعمهم هذا في جملة مايستندون ، على قصة موسى مع العبد الصالح الذي ﴿ آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ﴾ حين سأله موسى أن يصاحبه ، فقال له : ﴿ إنك لن تستطيع معي صبرا ، وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ؟ ﴾[٦٠] . وجاءت التجربة فأيدت قول العبد الصالح .

والظاهر من كلام أبي نعيم المذكور هنا أنه يرى أن الفئة الأولى هي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأعلى مقاماً ، فهي تشترك مع الثانية في الولاية وإن خفيت إلا على أولي البصائر وتعلوها في علم الشريعة والاتباع . وكان كذلك في معظم ما كتب ونقل يرى الاقتداء بالآثار . فجانب المحدث منه ، وإن لم يحفظه من التسليم بكثير من غيبيات المتصوفة وشطحياتهم ، فقد صانه من تجاوز الحدود ، فعلم الحقيقة عنده مسوّر بحدود علم الشريعة ، والولاية تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ومقيدة بالتكاليف والطاعات والاقتداء بالأئمة الكبار من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان . إلا أنه يورد أحياناً أقوالاً وحكايات قد توهم غير ذلك ، منها مثلاً الحكاية الرمزية التالية[٦١] :

« حدثني أبي ( والد أبي نعيم ) ثنا أحمد ثنا نصر قال : ذكر ابن مجمع عن أبي القاسم الأحول ثنا يعقوب بن عبد الله قال : رأيت سرياً السقطي في النوم فقلت : مافعل الله بك ؟ قال : أباحني النظر إلى وجهه ، فقلت : مافعل بأحمد بن حنبل وأحمد بن نصر ؟ فقال : شغلا بأكل الثمار في الجنة ! » .

وعلى أساس هذا التقسيم الثنائي مضى أبو نعيم في تراجمه فترجم لثلاثة وستين رجلاً دون أية إشارة تفيد في التمييز بينهم . وليسوا سواء فمنهم أئمة لامشاحة في إمامتهم مثل الثوري والشافعي ، ومنهم رجال ، من مثل علي بن أبي الحر وعبد العزيز الدوري وداود بن رشيد وعلي بن محمد ، عُبّادٌ نساك صلحاء ولكن ماكل من كان من الصالحين يكون إماماً للمسلمين . وعلى ذلك فسأسعى إلى رسم الحدود بينهم وتصنيفهم على نحوٍ مامسترشداً بمدى الاهتمام الذي أظهره أبو نعيم وهو يترجم لهم ، وبغيره من علماء الرجال .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

**أئمة في الزهد والحديث والفقه** ( ٦ / ٣١٤ ـ ٣٩٣ و ٧ / ٣ ـ ٣٣٥ )

ترجم أبو نعيم للإمام مالك بن أنس في إحدى وأربعين صفحة . وكانت ترجمته إيذاناً بعدد من التراجم الطوال . ثم لسفيان الثوري فكانت ترجمته أطول ترجمة في الحلية امتدت على مائة وثمانين صفحة . ثم لشعبة بن الحجاج فكانت في خمس وستين صفحة . فمسعر بن كدام في إحدى وستين . فسفيان بن عيينة في ثمان وأربعين . ثم لليث بن سعد في تسع صفحات فقط . وعلي والحسن ابني صالح بن حيي في ثمان . وهؤلاء جميعاً من الأئمة برأي أبي نعيم نفسه . أما الخمسة الأول فيغلب عليهم إلى تعبدهم وتزهدهم رواية الحديث ، وأما الليث فيغلب عليه الفقه والسخاء ، وأما الأخوان علي والحسن فيغلب عليهما شدة التحنث والتعبد .

**طلائع التصوف** ( ٧ / ٣٣٥ ـ ٣٩٥ و ٨ / ٣ ـ ٣٩١ )

ثم أخذ في ترجمة رجال يعدون ، برأي أبي عبد الرحمن السلمي وأبي القاسم القشيري ، طلائع التصوف ، وهم : داود بن نصير الطائي وترجم له في ثنتين وثلاثين صفحة ، وإبراهيم بن أدهم في أربع وثمانين ، وشقيق البلخي في ست عشرة ، وحاتم الأصم في إحدى عشرة ، والفضيل بن عياض في ست وخمسين .

وأتبعهم بوهيب بن الورد في ثنتين وعشرين وعبد الله بن المبارك في تسع وعشرين . وابن المبارك من كبار رجال الحديث ، ووهيب كان قريناً له وللفضيل .

ثم ترجم لثلاثة وأربعين رجلاً تراجم موجزة في معظمها ، وقليل منها يتجاوز العشر صفحات منها : ترجمة عبد العزيز بن أبي الورد في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثلاث عشرة صفحة ومحمد بن صبيح بن السماك الواعظ في أربع عشرة ومحمد الحارثي في ثمان ومحمد بن يوسف الأصبهاني في ثلاث عشرة ويوسف بن أسباط في ست عشرة . ويثير الاهتمام من بين هؤلاء الثلاثة والأربعين أبو إسحاق الفزاري وترجم له في أربع عشرة صفحة ، وأبو بكر بن عياش في عشر ، والمفضل بن فضالة في ثلاث ، وعبد الله بن وهب في ثمان ، ووكيع بن الجراح في إحدى عشرة ويحي بن سعيد القطان في ثنتي عشرة وهم محدثون موثقون ومن رجال تذكرة الذهبي . وكذلك بشر بن الحارث الحافي صاحب أطول ترجمة بينهم وتقع في أربع وعشرين صفحة ، ومعروف الكرخي في نحو تسع صفحات ، وهما من رجال طبقات السلمي ورسالة القشيري .

**خمسة من الأئمة الكبار ( ٩ / ٣ ـ ٢٥٤ )**

ثم انتقل إلى خمسة من الأئمة الكبار فترجم لهم ، وهم : عبد الرحمن بن مهدي الذي قال عنه ابن المديني[٦٢] : « لو حُلِّفت بين الركن والمقام لحلفت أني لم أر مثل عبد الرحمن » ، وكان يقول : « أعلم الناس بقول الفقهاء السبعة الزهري ثم بعده مالك ثم بعده ابن مهدي » ، وأخذت ترجمته ستين صفحة . والإمام محمد بن إدريس الشافعي وترجم له في ثمان وتسعين صفحة . والإمام أحمد بن حنبل في ثلاث وسبعين . وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي قرين ابن حنبل وابن معين ، وقال عنه محمد بن أسلم وبلغه موته[٦٣] : « ماأعلم أحداً كان أخشى لله من إسحاق .. وكان أعلم الناس ولو كان الثوري والحمادان في الحياة لاحتاجوا إليه » ، وكانت ترجمته في خمس صفحات فقط . ثم محمد بن أسلم الطوسي الذي قال عنه ابن خزيمة[٦٤] : « حدثنا رباني هذه الأمة » ، وأخذت ترجمته ست عشرة صفحة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

**متصوفة كبار وصغار ( ٩ / ٢٥٤ ـ ٣٩٥ و ١٠ / ٣ ـ ٣٨٩ )**

ثم اندفع فترجم لمائتين وعشرة رجال قدم لهم بهذا القول : « وعدنا إلى المشتهرين بالنسك والمغتنين لحظوظهم من الأوقات والساعات الذين ليس لغيرهم فيهم مرتع ولاعنهم مقتبس » . فهم إذن ليسوا أئمة منصوبين للمسلمين يُهتدى بهم ويُقتدى . فما القول في من كان منهم يجمع علم الشريعة إلى علم الحقيقة أمثال الجنيد بن محمد الذي قال عنه جعفر بن نصير الخلدي[٦٥] : « لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير أبي القاسم الجنيد وإلا فأكثرهم كان يكون له علم كثير ولايكون له حال ، وآخر كان يكون له حال كثير وعلم يسير . والجنيد كانت له حال خطيرة وعلم غزير : فإذا رأيت حاله رجّحته على علمه ، وإذا رأيت علمه رجّحته على حاله » ؟

وقد وضع أبو نعيم المائتين والعشرة على صعيد واحد وهم يتفاوتون في الأقدار والمقامات والشهرة والأثر في التاريخ الروحي للإسلام . فمنهم أقطاب مثل ذي النون وأبي يزيد والمحاسبي والتستري والجنيد ... وأكثرهم لايكادون يعرفون بل إن منهم من لايعرفون ولاتعرف أسماؤهم مثل حيان الأسود وأبي الفضل الهاشمي وإبراهيم المغربي وأبي تراب الرملي والخادم والفرار الخ ... .

وللتمييز بينهم لم أجد وسيلة أفضل من مقابلة أسمائهم بأسماء من ترجم لهم أبو عبد الرحمن السلمي في « طبقات الصوفية » وتثبيت الأسماء المشتركة . وقد وجدت تسعة وخمسين من هذه الأسماء فإذا أضيف إليهم ستة سبق ذكرهم ( ابن أدهم وشقيق والأصم وفضيل والحافي والكرخي ) يكون المجموع خمسة وستين ، ذلك مع تأخر الحلية عن الطبقات وافتراض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن تستوعب عدداً أكبر من كبار المتصوفة . هذه ملاحظة أسجلها هنا لأعود إليها فيما بعد لاستكشاف مغزاها .

أما تراجمهم فكانت في أغلبها قصيرة موجزة ، لم يكن فيها من المطولات إلا ترجمة ذي النون في ست وستين صفحة ، وكان فيها من المتوسطات تراجم : أبي سليمان الداراني في ست وعشرين ، وأحمد بن عاصم في سبع عشرة ، وأحمد بن أبي الحواري في ثمان وعشرين ، والحارث المحاسبي في خمس وثلاثين ، وعبد الله بن خُبَيق في إحدى وعشرين ، وسهل التستري في ثلاث وعشرين ، والجنيد بن محمد في ثنتين وثلاثين . والتراجم الباقيات لايكاد يتجاوز القليل منها العشر صفحات ، وأكثرها لايتجاوز الصفحات القليلة ، وكثيراً مالايتجاوز الخبر الواحد والسطرين أو الثلاثة . وهذا مثال وأمثاله كثير : « ومنهم إبراهيم المغربي : حدثنا محمد بن الحسين قال : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت إبراهيم بن الوليد يقول : دخلت على إبراهيم المغربي وقد رفسته بغلة فكسرت رجله ، فقال : لولا مصائب الدنيا لقدمنا على الله مفاليس » .

وهذه هي الأسماء التسعة والخمسون ، وهؤلاء ليسوا بالتأكيد من صغار الصوفية والزهاد والمغمورين بل هم شيوخ كبار لهم مقاماتهم العليا بين المتصوفة وإن منهم من كان له أثر كبير على الحياة الروحية في الإسلام .

أبو سليمان الداراني ـ أحمد بن عاصم الأنطاكي ـ منصور بن عمار ـ ذو النون المصري ـ أحمد بن أبي الحواري ـ أبو يزيد البسطامي ـ أحمد بن خضرويه ـ أبو تراب النخشبي ـ يحي بن معاذ ـ الحارث بن أسد المحاسبي ـ السري السقطي ـ عبد الله بن خبيق ـ سهل بن عبد الله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التستري ـ أبو حفص عمرو النيسابوري ـ حمدون بن أحمد القصار ـ محمد بن علي الحكيم الترمذي ـ أبو بكر محمد بن عمر الوراق ـ شاه بن شجاع الكرماني ـ يوسف بن الحسين الرازي ـ أبو عثمان الحيري ـ أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز ـ أبو الحسين أحمد النوري ـ الجنيد بن محمد ـ عمرو بن عثمان المكي ـ رويم بن أحمد ـ أحمد بن محمد بن عطاء الأدمي ـ خير النساج ـ سمنون بن حمزة المحب ـ أبو عبد الله بن الجلاء ـ محمد بن أبي الورد ـ طاهر المقدسي ـ بنان بن محمد البغدادي ـ إبراهيم الخواص ـ أبو عبد الله المغربي ـ أبو الحسن المزين الصغير ـ أبو عمرو الدمشقي ـ أبو محمد الجريري ـ أبو علي الحسن بن علي الجوزجاني ـ أبو عبد الله السجزي ـ أبو بكر بن طاهر الأبهري ـ ممشاذ الدينوري ـ أبو إسحاق إبراهيم بن داود القصار ـ أبو عبد الله بن بكر المرتعش ـ أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري ـ أبو علي أحمد الروذباري ـ أبو بكر محمد بن علي الكتاني ـ أبو بكر الشبلي ـ أبو سعيد أحمد بن الأعرابي ـ أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجي ـ محمد بن عليان ـ أحمد بن أبي سعدان ـ أبو الخير الأقطع ـ أبو عبد بن سالم البصري ـ أبو الحسن علي بن أحمد البوشبخي ـ جعفر بن محمد بن نصير الخلدي ـ أبو بكر الطمستاني ـ أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري ـ بندار بن الحسين الشيرازي ـ أبو عبد الله محمد بن خفيف .

وختم أبو نعيم أخيراً الحلية بوقفة على نساك أصبهان ومتصوفتها ( ١٠ / ٣٨٩ ـ ٤٠٩ ) عرضت لها من قبل في ترجمته .

وبعد ، هذا عرض لمحتويات الحلية سعيت فيه أن أسير مع أبي نعيم خطوة خطوة في طريق الحلية الطويل ، عساني أكون الدليل المدقق الأمين لمن يريد أن يتعرف على الحلية تعرفاً إجمالياً قبل التورط في السير فيها .

**للبحث صلة**

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

## المراجع والتعليقات

(٤٦) الفهرست ٢٣٥ ـ ٢٣٨ ( ط . طهران ) ـ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ( الترجمة العربية ) ٤ / ٥٣ ـ ٨٨ ـ سزكين ، تاريخ التراث العربي ( الترجمة العربية ) ٢ / ٤١٩ ـ ٥٠٦ .

(٤٧) اقرأ حول « حديث بئر معونة » سيرة ابن هشام ٣ / ١٨٤ ـ ١٩١

ومغازي الواقدي ١ / ٣٤٦ ـ ٣٥٢ ، وجاء فيه

« فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بئر معونة .. ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الركعة من الصبح ، في صبح تلك الليلة التي جاءه الخبر ، فلما قال : سمع الله لمن حمده ، قال : اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم عليك ببني لحيان وزعب ورعل وذكوان وعصية فإنهم عصوا الله ورسوله ، اللهم عليك ببني لحيان وعضل والقارة ، اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة والمستضعفين من المؤمنين ، غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله . ثم سجد .. ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى ماوجد على قتلى بئر معونة . وكان أنس بن مالك يقول : أنزل الله فيهم قرآناً قرأناه حتى نُسخ : « بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه » .

وفي تاريخ الطبري ٢ / ٥٤٥ ـ ٥٥٠ نحو ذلك

وجاء في الحلية ١ / ١٢٣ :

« حدثنا محمد بن أحمد بن علي بن مخلد ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا روح بن عبادة ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك : أن رعلاً وذكوان وعصية أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاستمدوه على قومهم فأمدهم بسبعين رجلاً من الأنصار كانوا يدعون القراء يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل . فلما بلغوا بئر معونة غدروا بهم فقتلوهم . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت شهراً يدعو الله على رعل وذكوان وعصية . فقرأنا بها قرآناً ثم إن ذلك رفع ونسي : « بلغوا عنا قومنا إنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا » .

(٤٨) سورة الكهف ، الآية ٢٨ .

(٤٩) طبقات الصوفية ، المقدمة ٣٤ .

(٥٠) سيرة ابن هشام ٤ / ١٩٤ ـ ١٩٧ ـ تاريخ الطبري ( ط . دار المعارف ) ٣ / ٩٧ ـ ١٠٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٥١) الإصابة ٤ / ٤٥٩ .

(٥٢) جاء في مغازي الواقدي بعد ذكر كتابة الكتاب في الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركي قريش وكان المسلمون في غضب : « .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا فانحروا واحلقوا ، فلم يجبه منهم رجل إلى ذلك . فقالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك يأمرهم ، فلم يفعل واحد منهم ذلك . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل على أم سلمة زوجته مغضباً شديد الغضب ، وكانت معه في سفره ذلك ، فاضطجع . فقالت : ما لك يارسول الله ، مرّاراً لاتجيبني ؟ .. ثم قال : عجباً ياأم سلمة ، إني قلت للناس انحروا واحلقوا وحلوا مراراً فلم يجبني أحد من الناس وهم يسمعون كلامي وينظرون في وجهي . قالت : فقلت : يارسول الله ، انطلق أنت إلى هديك فانحره فإنهم سيقتدون بك . فاضطبع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه ثم خرج وأخذ الحربة يَنهم هديه☆ . قالت أم سلمة : فكأني انظر إليه يهوي بالحربة إلى البَدَنة رافعاً صوته : بسم الله والله أكبر . قالت : فما هذا إلا أن رأوه نحر ، فتواثبوا إلى الهدي فازدحموا عليه حتى خشيت أن يَغُم بعضهم بعضاً » المغازي ٢ / ٦١٣ .

(٥٣) جاء في جامع الترمذي : « حدثنا قتيبة بن سعيد نا محمد بن سليمان بن الأصبهاني عن يحي بن عبيد عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم قال : نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ في بيت أم سلمة . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . قالت أم سلمة : وأنا معهم يارسول الله . قال أنت على مكانك وأنت إلى خير . وفي الباب عن أم سلمة ومعقل بن يسار وأبي الحمراء وأنس بن مالك . هذا حديث غريب من هذا الوجه ـ تحفة الأحوذي ٤ / ٣٤٣ .

(٥٤) انظر تفسير الآية حسب السياق الذي وردت فيه في تفسير القرطبي ١٤ / ١٨٢ ـ ١٨٤ .

(٥٥) سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٦١ .

(٥٦) صفة الصفوة ٢ / ١٣٦.

(٥٧) صفة الصفوة ٢ / ١٠٣ .

---

☆ اضطبع : أخذ ثوبه فجعله وسطه تحت إبطه الأيمن وألقى طرفيه على كتفه الأيسر من جهتي الصدر ـ نهم الرجل ناقته إذا زجرها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٥٨) روى أبو نعيم في الحلية ٤ / ٢٨٩ ـ ٢٩٥ عدة روايات عن حوار سعيد بن جبير مع الحجاج ثم قتله ، نقل عنه أطول هذه الروايات الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٢٨ ـ ٣٣٢ وعقب عليها بقوله : « هذه حكاية منكرة غير صحيحة ، رواها أبو نعيم في الحلية » . ولكنهما اتفقا على روايات أخرى ، منها :

« حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا محمد بن أحمد بن خلف ثنا سفيان عن سالم بن أبي حفصة قال : لما أتي الحجاج بسعيد بن جبير قال : أنا سعيد بن جبير ، قال : أنت شقي بن كسير ، لأقتلنك ، قال : فأنا إذن كما سمتني أمي . ثم قال : دعوني أصلّ ركعتين . قال : وجهوه إلى قبلة النصارى . قال : ﴿ أينما تولوا فثم وجه الله ﴾ . وقال : إني أستعيذ منك بما عاذت به مريم . قال : وما عاذت به ؟ قال : قالت : ﴿ إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ﴾ . رواها ابن عيينة عن سالم . ثم قال ابن عيينة : لم يقتل بعد سعيد إلا رجلاً واحداً » .

ومنها :

« حدثنا أبو حامد ثنا محمد بن إسحاق ثنا هارون بن عبد الله ثنا محمد بن سلمة بن هشام بن إسماعيل أبو هشام المخزومي ثنا مالك عن يحي بن سعيد عن كاتب للحجاج يقال له يعلى ـ قال مالك : وهو أخ لأبي سلمة الذي كان على بيت المال ـ قال : كنت أكتب للحجاج وأنا يومئذٍ غلام حديث السن يستخفني ويستحسن كتابتي فأدخل عليه بغير إذن . فدخلت عليه يوماً بعدما قتل سعيد بن جبير ، وهو في قبة لها أربعة أبواب ، فدخلت مما يلي ظهره ، فسمعته يقول : مالي ولسعيد بن جبير ؟ ! فخرجت رويداً وعلمت أنه إن علم بي قتلني . فلم ينشب الحجاج بعد ذلك إلا يسيرا » .

وانظر في مقتل سعيد بن جبير :

تاريخ الطبري ٦ / ٤٨٧ ـ ٤٩١ ، الكامل لابن الأثير ٤ / ٥٧٩ ـ ٩٨٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٩ / ٩٦ ـ ٩٧ .

(٥٩) سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٣٤ .

(٦٠) سورة الكهف الآيات ٦٠ ـ ٨٢ .

(٦١) الحلية ٩ / ١٩١ .

(٦٢) تذكرة الحفاظ ١ / ٣٣١ .

(٦٣) تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٣٤ .

(٦٤) تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٣٣ .

(٦٥) تاريخ بغداد ٧ / ٢٤٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net